

الفصل الأول

البدائية

الجدُّ .. طريق الوصول (علو الهمة)

هذا المبحث لا بد منه في كل عمل وفي كل مجال. بل الأحرى به أن يتصدر كل عمل ولولاه ما خرج للنور عمل أعني لولا توفيق الله ثم الجد، والاجتهاد، والسهر، والتعب، وعلو الهمة التي لا يوفق لها إلا القليل وذلك لأن الهمم تقتر بعد فترة وتتقطع ولكن صاحب الهمة الثابتة والجد والاجتهاد هو الوحيد الذي يستطيع أن يواصل وأن يصل بتوفيق الله إلى بر الأمان والسداد. وكم من عبقرى اندثر ولم تستفد منه البشرية بشيء. وكم من ذكى ما استطاع أن يستفيد أدنى استفادة من ذكائه لأنه لم يمتلك الجد، والاجتهاد، والمثابرة. وعلى العكس من هذا كم من إنسان متوسط الذكاء استطاع أن يصل بالجد والاجتهاد والمثابرة إلى بر الأمان وان يبذل ويتكر ويخرج من فشل إلى انتصار وقديما قال توماس أديسون أبو المخترعين: إن العبقرية عبارة 90% عمل واجتهاد والعشرة الباقية موهبة".

فمن أراد أن يصل إلى الفضائل فليتحمل الرذائل ويشمر عن ساعد الجد والاجتهاد.

والآن إلى سطور هذا المبحث:

إن للكون سنناً ونواميس لا يجوز للعبد أن يصادمها أو يخالفها، بل ينبغي أن يراعيها لينعم بحياة طيبة في دنياه وسعادة دائمة في أخراه.

ومن سنن: الكون أن من جدَّ وجد، وأن من تعب قليلاً استراح طويلاً؛ فالمكارم منوطة بالمكاره، واللذات، والكمالات لا تتال إلا بحظ من المشقة:

لولا المشقة ساد الناس كلهم... .. الجود يفقر والإقدام قتال

أما من أثر الراحة وأخذ إلى الأرض فقلَّ أن يفوز بمقصوده:

ومن أراد العُلا عفوًا بلا تعب... قضى ولم يقض من إدراكها وطراً

لا يبلغ السؤل إلا بعد مؤلمة.... ولا تتم المنى إلا لمن صبرا
وأخر يقول:

فقل لمرجّي معالي الأمور... .. بغير اجتهاد: رجوت المحالا
إن حركة الأعمال في هذه الحياة تتوقف على الجد والاجتهاد؛ لذلك كان
من الواجب أن ينهض الإنسان للعمل متدنّثراً بدثار الجد والاجتهاد والنشاط،
طارحاً ثوب القعود والكسل وراءه ظهرياً، وإلى هذا يوجه القرآن والسنة،
يقول الله عز وجل: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة: 105.

ويقول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا
وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَاِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الملك: 15.

ويُعَلِّمُ النّبي . ﷺ - أمته الجد والاجتهاد بوسائل مختلفة، فتراه . ﷺ - يحثهم
على التكسب والأكل من عمل اليد: "ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن
يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده".⁽¹⁾

وكذلك يوصي النبي . ﷺ - بالجد والاجتهاد وعدم الاستسلام لمشاعر
الإحباط واليأس: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز".⁽²⁾
واستمع إليه . ﷺ - وهو يقول: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن
استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها".⁽³⁾

وظمأن أهل الهمة العالية بأن الله عز وجل يمدهم بالمعونة على قدر سمو
هممهم: "إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة وإن الصبر يأتي
من الله على قدر المصيبة".⁽¹⁾

¹ (البخاري).

² (مسلم).

³ (صحيح الجامع للألباني برقم 1424).

وإن الجد والاجتهاد فيه مشقة وتعب، لكن له لذة وأي لذة، لاسيما حين يرى الجاد ثمار تعبهِ:

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْكَبْرَى فَلَمْ أَرَهَا ... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ
يقول ابن القيم رحمه الله: وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة، والله المستعان، ولا قوة إلا بالله. وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى، كان تعب البدن أوفر، وحظه من الراحة أقل، كما قال المتنبّي:

وَإِذَا النُّفُوسُ كُنَّ كِبَارًا... .. تَعَبَتْ فِي مَرَادِهَا الْأَجْسَامَ

وقال ابن الرومي:

قلب يظل على أفكاره ويد... تمضي الأمور ونفس لهوها التعب
وقال مسلم في صحيحه: قال يحيى بن أبي كثير: "لا يُنال العلم براحة البدن".

ولا ريب عند كل عاقل أن كمال الراحة بحسب التعب، وكمال النعيم بحسب تحمل المشاق في طريقه، وإنما تخلص الراحة واللذة والنعيم في دار السلام، فأما في هذه الدار فكلا ولما.⁽²⁾

⁽¹⁾صحيح الجامع للألباني برقم(1952).

⁽²⁾ (علو الهمة للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم.

إن العبد الذي يتخذ من الجد شعارًا في حياته لا يعتمد على حسبه ونسبه، ولا يركن إلى الفخر بالآباء والأجداد، إنما يبني لنفسه مجدًا يجمعه إلى مجد الآباء والأجداد. قال عبد الله بن معاوية:

لسنا وإن كَرُمْتُ أوائلنا... .. يوماً على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا... .. تبني ونفعل مثل ما فعلوا

قال أحد الحكماء: اجعل الاجتهاد غنيمة صحتك، والعمل فرصة فراغك، فليس كل الزمان مواتياً لك ولا ما فات مستدرِكاً.

وقال أحد الأدباء: العمل ترس يقي سهام البلاء، والجد سيف يقطع أعناق الشقاء.

وقال آخر: لا شيء أحسن من عقل زانه حلم، ومن عمل زانه علم، ومن حلم زانه صدق.

وقال أحد العلماء: هل يجوز في وهم، أو يتمثل في عقل، أو يصح في قياس، أن يحصد زرع بغير بذر، أو تجنى ثمرة بغير غرس، أو يورى زند بغير قدح، أو يثمر مال بغير طلب؟

وقيل: كل رزق له سبب ومن طلب الأمر وجدَّ وجد.

وما أحسن قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، والله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض.

فشمر عن ساعد الجد واترك التواني فإن: أمتك المسلمة تنتظر منك جذبة عمرية توقد في قلبها مصباح الهمة في ديجور هذه الغفلة المدلهمة، وتنتظر منك صيحة أيوبية تغرس بذرة الأمل في بيداء اليأس، وعلى قدر المؤنة تأتي من الله المعونة، فاستعن بالله ولا تعجز.

الحد لا يدرك إلا بعلو الهمة:

ومما لا شك فيه أن الهمة رزق من الله تعالى يمن به على من يشاء من عباده، ومن حكمته سبحانه أن فاضل بين عباده في قواهم العملية كما فاضل بينهم في قواهم العلمية، لكنه جعل لعلو الهمة أسبابا إذا أخذ بها العبد علت همته وارتقت نفسه، ونحن نعرض في إيجاز لبعض هذه الأسباب عسى أن يمن علينا اللطيف الخبير بعلو الهمة.

فمن هذه الأسباب:

(1) الإخلاص: فنسيان رؤية المخلوقين بدوام النظر إلي الخالق تبارك وتعالى يحث على الأخذ بمعالي الأمور؛ لأن الناقد بصير.

يقول الإمام بن القيم رحمه الله: لقاح الهمة العالية: النية الصالحة، فإذا اجتمعا بلغ العبد المراد.

(2) الصدق: فالصادق في عزمه وفي فعله صاحب همة عالية ويصدقه في العزم والفعل يسعد في الدارين، فصدق العزيمة الجزم وعدم التردد، وصدق الفعل هو بذل الجهد واستفراغ الوسع لتحقيق ما عزم عليه، فيأمن صاحب العزم الصادق من ضعف الهمة والإرادة، و يمنعه صدقه في الفعل من الكسل والفتور.

(3) العلم: فمن استوى عنده العلم والجهل، أو كان قانعا بحاله وما هو عليه، فكيف تكون له همة أصلا؟ فالعلم يرتقي بالهمة، ويرفع طالبه عن حضيض الجهل والتقليد ويصفي نيته. والعلم يورث صاحبه الفقه بمراتب الأعمال، فتبقى فضول المباحات التي تشغله عن التعبد كفضول الأكل والنوم وبراغي التوازن والوسطية بين الحقوق والواجبات، امتثالاً لقوله ﷺ: " أعط كل ذي حق حقه".⁽¹⁾

¹ (جزء من حديث صحيح رواه الترمذي وصححه الألباني (برقم 2413)

ويبصره بتحليل إبليس وتلبيسه عليه، كي يحول بينه وبين ما هو أعظم ثواباً".⁽¹⁾

قال ابن القيم رحمه الله: إن السالك على حسب علمه بمراتب الأعمال ونفائس الكسب، تكون معرفته بالزيادة والنقصان في حاله وإيمانه.

(4) اليقظة والمسارة: بحيث يفارق العبد بيقظته جموع الغافلين، ويعرض عن أفعال الجاهلين ويخلع ثوب النوم والرقاد، فلا يقر له قرار حتى يسكن في جنة عرضها السماوات والأرض:

فحي على جنات عدن فإنها.....منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سيئ العدو فهل ترى..... نعود إلي أوطاننا ونسلم
فلا ينبغي لمن أراد الارتقاء بهمته أن يرتمي في أحضان الغافلين والإعص
أسنة الندم.

دعا رسول الله ﷺ. ذا الجوشن الضبابي بعد بدر إلى الإسلام، فقال: "هل لك إلى أن تكون من أوائل هذا الأمر؟". قال: لا. قال: "فما يمنعك منه؟". قال: رأيت قومك كذوبك وأخرجوك وقاتلوك، فأنظر: فإن ظهرت عليهم أمنت بك واتبعتك، وإن ظهروا عليك لم أتبعك..فكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه رسول الله ﷺ..

إذا ما علا المرء رام العلا.....ويقنع بالدون من كان دونا
(5) الحزم وعدم التردد: فإن التردد يفوت على العبد الفوز بالخيرات، ويبقيه في مكانه في الوقت الذي يسير فيه الركب فيصل الحازم إلى مبتغاه، وصدق القائل:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة.....فإن فساد الرأي أن تترددا

¹ (علو الهمة للشيخ محمد إسماعيل.

وقال آخر:

ومشتت العزمات ينفق عمره.....حيران لا ظفر ولا إخفاق
فلا تتوقف مترددا أو قلقا، ولا تضيع نفسك بالشكوك التي لا تلد إلا الشكوك، واستمع
إلى قول ربك: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} آل عمران: 159.
وقوله تعالى: {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ} محمد: 21.

(6) معرفة قيمة النفس وشرفها: وليس المقصود بهذا أن يغتر العبد أو
يعجب بنفسه ويتكبر، إنما المقصود أن يعلم أنه في الخليقة شيء آخر لا
يشبهه أحد، فيحرص على أن يرفع قيمته، ويغلي ثمنه بعمله الصالح،
ويعلمه ونبوغه، واطلاعه ومثابرتة وبحثه وتثقيف عقله، وصقل ذهنه،
وإشعال الطموح في روحه، والنبيل في نفسه؛ لتكون قيمته عالية وغالية.
فيا من أسجد الله لك ملائكته بالأمس، وجعلهم اليوم في خدمتك، فكم
من ملك في السماوات ما ذاقوا غمضا ليس لهم رتبة: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ
الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} السجدة: 16. كم من
ملك في السماوات ما ذاقوا طعاما ولا شرابا ليس لهم شرف: "ولخلوف فم
الصائم أطيب عند الله من ريح المسك".

الملائكة تصلي عليك ما استقمت، وحملة العرش يستغفرون لك، يا هذا
فتش عن نفسك، واعرف قدرها تسمو بهمتك إلى العظيم.
(7) الدعاء: وإنما جعلته خاتمة الأسباب التي نتحدث عنها في هذا المقال
لأنه الباب الأوسع والأقرب للفوز بأنواع الخيرات، وهو باب لا منازع فيه.

يقول رسول الله . ﷺ : " أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام".⁽¹⁾ قال رسول الله . ﷺ : " ليس شيء أكرم على الله من الدعاء".⁽²⁾

(8)التطلع إلى الكمال والترفع عن النقص: ففي الحديث: "إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها".⁽³⁾

أي يبغض الرديء الحقير من كل شيء وعمل.

وقد دفع القرآن إلى مراتب الكمال دفعا؛ إذ ميز بين الطيب والخبيث، وبين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وبين المجاهدين والقاعدين، وبين السابقين والمتخلفين، وفضل المرتقين في مراتب الكمال على الناقصين.

ونصوص القرآن في ذلك كثيرة: منها قوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} {النمر:9}.

وكما في خطابه تعالى للمؤمنين: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} {النساء:95}.

وهذا هو ما حرص النبي . ﷺ - على توجيه الأمة إليه، وأن تتشد الكمال وتترفع عن النقص.

¹ (صحيح الجامع للألباني برقم (1044)

² (صحيح الجامع للألباني برقم (5392)

³ (صحيح الجامع للألباني برقم (1743)

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك ولا تعجز فإن غلبك أمر فقل قدر الله وما شاء فعل وإياك واللو فإن اللو تفتح عمل الشيطان".⁽¹⁾

ويقول كذلك النبي صلى الله عليه وسلم : " ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه".⁽²⁾

فينبغي لمن أراد الارتقاء بهيمته أن يتطلع إلى الكمالات، وأن يترفع عن الدنيا: وإنا لقومٌ لا توسط عندنا.....لنا الصدر دون العالمين أو القبر

(9) الزهد في الدنيا: ونعني به استصغار الدنيا، والحذر من طغيانها وسيطرتها على القلب.

طلب عمر بن عبد العزيز رحمه الله النصيحة من الحسن رحمه الله تعالى، فكتب إليه الحسن: إن رأس ما هو مصلحك ومصلح به على يدك: الزهد في الدنيا، وإنما الزهد باليقين، واليقين بالتفكير، والتفكير بالاعتبار، فأنت إذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً أن تبيع بها نفسك، ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا، فإن الدنيا دار بلاء ومنزل قُلْعَةٍ. (أي دار رحيل وانتقال).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم . رجل فقال: يا رسول الله أوصني وأوجز فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "عليك بالإيأس مما في أيدي الناس وإياك وما يعتذر منه".⁽³⁾

فمن زهد في الدنيا رنا بطرفه وقلبه نعيم الجنات، وجوار الكبير المتعال.
(10) اشتغال العبد بما يعنيه وانصرافه عن غيره: فانشغال المرء بما لا يعنيه أمر سيء يضيع عليه وقته الذي هو رأس ماله على الحقيقة، ولا

¹ صحيح سنن ابن ماجة برقم (4168)

² صحيح الترغيب والترهيب للألباني برقم (2963)

³ صحيح الترغيب والترهيب (برقم 832)

ينتفع من ذلك بشيء لا في دين ولا في دنيا، ولهذا قال النبي ﷺ: " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".⁽¹⁾

(11) الحرص على الوقت: فالوقت هو الحياة، وإنما سعد من سعد، وارتقى من ارتقى في مراتب المجد من استثمار الأوقات، وكان حريصا على الدقائق واللحظات:

دقات قلب المرء قائمة له.....إن الحياة دقائق وثوان

فأرفع لنفسك قبل موتك.....ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

فأصحاب الهمم العالية يحرصون على كل ثانية حرص الجموح المنوع، وحتى المصائب لا تلهيهم عن استغلال الوقت والحرص عليه:

حياتك أنفاس تعد فكلما.....مضى نفس منها انتقصت به جزءا

فتصبح في نقص وتمسي بمثله.....أما لك معقول تحس به رُزءا

يميتك ما يحييك في كل ساعة.....ويحدوك حاد ما يريد به الهُزءا

يا صاحب الهممة العالية:

ألف ابن الأثير كتبه الرائعة كجامع الأصول والنهاية في غريب الحديث وهو مقعد.

وألف السرخسي كتابه الشهير (المبسوط) خمسة عشر مجلدا وهو محبوس.

وكتب ابن القيم زاد المعاد وهو مسافر.

وشرح القرطبي صحيح مسلم وهو على ظهر سفينة.فانتبه وتدبر.

(12) مجاهدة النفس: إن هناك من يكدح في سبيل نزوة وشهوة، أما عالي

الهممة فإنه يكدح في سبيل عقيدة ودعوة، وليس للعابد مستراح إلا تحت

شجرة طوبى في جنة عرضها السماوات والأرض.

إنما يهون الطريق على من علم أين المقصد:

¹ (صحيح الجامع للألباني برقم (5911)

قف بالديار فهذه آثارهم.....تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
فجاهد نفسك في الله تصل إلى الشرف كل الشرف، فالأمر كما قال يحيى
بن معاذ رحمه الله: أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الآخرة
تخدمهم الأحرار والأبرار.

أحد الصالحين يهتف بك: أقوى الفتوة غلبتك نفسك.
وينادى: لن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر
شهوته على دينه.

لقد كان أهل الحزم يعوّدون أنفسهم مخالفة هواها وإن كان مباحا، ليقع
التمرين للنفس على ترك الهوى مطلقا.
فيا هذا: من جاهد نفسه وجدّ وجد، وليس من سهر كمن رقد، والفضائل
تحتاج إلى وثبة أسد:

إلا تمت تحت السيوف مُكرّما...تمت وتقاس الذل غير مُكرّم
فثبّ واثقا بالله وثبة ماجد...يرى الموت في الهيجا جنّى النحل في الفم
(13) قصر الأمل وكثرة ذكر الموت: نعم فمن قصر في الدنيا أمله وأكثر
ذكر الموت علت همته وحسن عمله.

كانت ماجدة القرشية تقول: طوى أملى طلوع الشمس وغروبها، فما من
حركة تسمع ولا من قدم توضع إلا ظننت أن الموت فيها.
وتقول عن الغافلين: بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم، ولو نصبوا الآجال
وطووا الآمال لخفت عليهم الأعمال.

وأخذ رسول الله . ﷺ . ببعض جسد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقال: " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعُدّ نفسك في أصحاب القبور".⁽¹⁾

ولقد كان النبي . ﷺ . يقوم إذا ذهب ثلث الليل فيقول: "يا أيها الناس: اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه".⁽²⁾

ما زال يلهج بالرحيل وذكره.....حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه مستيقظا متشمرا.....ذا أهبة لم تلهه الآمال
كان مطرف بن عبد الله يقول: أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم،
فاطلبوا نعيما لا موت فيه. فأكيس الناس: أكثرهم ذكرا للموت، وأحسنهم
استعدادا له.

(14) التحول عن البيئة المحبطة: وفي ذلك يقول الشيخ محمد إسماعيل
المقدم: "إن للبيئة المحيطة بالإنسان أثرا جسيما لا يخفي، فإذا كانت بيئة
مثبطة داعية إلى الكسل والخمول وإيثار الدون، فإن على المرء أن يهجرها
إلى حيث تعلقو همته، كي يتحرز من سلطان تأثيرها، وينعم بفرصة الترقى
إلى المطالب العالية.

تقول ابنة السعدي وهي تلومني.....أما لك عن دار الهوان رحيل
فإن عناء المستقيم إلى الأذى.....بحيث يذل الأكرمون طويل
وعندك محبوبك السّرة مطهّم.....وفي الكف مطرور الشبابة صقيل⁽³⁾

¹ (البخاري).

² (صحيح الجامع (برقم 7863).

³ (الفرس المحبوك: القوي الشديد، سرة الفرس: أعلى متنه، المطهّم: المتناهي في الحسن،
المطرور: ذو المنظر الحسن والهيئة الحسنة، الشبابة: حد طرف السيف، الصقيل: المجلّو.

وأشد الناس حاجة إلى تجديد البيئة المحيطة وتنشيط الهمة: الحديث العهد بالتوبة، فإن من شأن التحول من بيئة المعصية إلى بيئة الطاعة أن ينسيه ما يجذبه إلى صحبة السوء وأماكن السوء، فيجتمع قلبه، ويلتئم شمله، وتتوحد همته، وتتوجه بصدق وعزم إلى أسلوب من الحياة جديد.

إن الماء تتغير رائحته بقربه من الجيف، وإذا بعد قليلا عن مكان الجيف تغير ما كنت تجده، فكيف بأنفاس العصاة؟!

فالفارار الفرار من بيئة الكسل والركود ودناءة الهمة.

ولا تتخذ بالسير رفة قاعد.....ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا.

(15) مصاحبة ذوي الهمة العالية: فمما اتفقت عليه كلمة الأنام أن للصاحب تأثيرا في صاحبه، فاتخذ ذوي الهمم العالية أعوانا، واخلط نفسهك مع الأبرار، وطهرها من الفجار واجتنب اللئام الأقدار، فالمرء يعرف بقرينه، فاصحب من يملك في سيرك إلى الله عز وجل لا من تحمله.

إن رؤية وجوه الصالحين تشد الهمم فكيف بصحبتهم وكلامهم ونصحهم. لقد كان الناس إذا رأوا وجه وكيع بن الجراح قالوا: هذا ملك. وإذا رأوا وجه محمد بن سيرين سبحوا الله لمخايل النور على وجهه.

قال الفضيل بن عياض: نظر المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب، ونظر الرجل إلى صاحب بدعة يورث العمى، من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة.

وقال عبد الله بن المبارك: إذا نظرت إلى الفضيل جدد لي الحزن، ومقت نفسي، ثم يبكي رحمه الله.

فصاحب علة الهمم وصافهم، واستفد من أخلاقهم وأوصافهم، إن لم يكن لك قدرة على البذر، ولم تطق مراعاة الزرع، فقف في رفقة: [وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا] النساء: 8.

إن صدقت في طلابهم فانهض وبادر، ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر، تعرض لمن أعطاهم، وسل فمولاك مولاهم، رب كنز وقع به فقير، ورب فضل فاز به صغير... علم الخضر ما خفي على موسى، وكشف لسليمان ما غطى عن داود. وتذكر دائماً أن الصاحب صاحب.

(16) الصبر والمثابرة: فبهما مع اليقين تتال الإمامة في الدين، ومن تلمح حلاوة العافية هان عليه مرارة الصبر.

وقل ساعدي يا نفسُ بالصبر ساعة... فعند اللقاء ذا الكد يصبح زائلاً
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي..... ويصبح ذو الأحزان فرحان جاذلاً
إن صبر أهل اليقين جعلهم أئمة الدين، لكن من استطال الطريق ضعف مشيه: وما أنت بالمشاق إن قلت بيننا..... طوال الليالي أو بعيد المفاوز لا بد إذا من مرابطة على الحق الذي عرفت جماله، والإيمان الذي ذقت حلاوته: لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ آل عمران: 200.

(17) الخلوة: فإنها تعين على التفكير والتدبر، وتصفي القلب من العلائق والشواغل، وتفرغه لمولاه.

أوحشتني خلواتي بك من كل أنيس
وتفردت فعابنتك بالغيب جليسي
ودعاني الوجد والحب إلى المعنى النفيس
فبدا لي أن مهر الحب أنفاس النفوس

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة، فيكثر حينئذ ملاقاته الناس، ويطرد الوحشة عن نفسه بالسكون معهم.

ويقول بعض العلماء: لا بد للعبد من أوقات ينفرد فيها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكيره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه وما يختص به من الأمور التي لا يشرك فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراد بنفسه.

كان عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: كان أبي أصبر الناس على الوحدة. وقال: لم ير أحد أبي إلا في مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض، وكان يكره المشي في الأسواق.

ويقول بعض الفضلاء: إنه لا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى، لا بد لها من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع من شواغل الأرض وضجة الحياة، وهموم الناس، لا بد من فترة التأمل والتدبر والتعامل مع الكون الكبير وحقائقه الطليقة.

وفي الخلوة من الفوائد:

- 1- السلامة من آفات اللسان.
 - 2- حفظ القلب من الرياء.
 - 3- وجدان حلاوة الطاعة.
 - 4- حفظ البصر وحصول راحة القلب.
 - 5- حصول الزهد والتقناعة.
 - 6- التمكن من عبادة التفكير والتدبر.
- (18) مطالعة سير علاة الهمم: فإن أخبار العلماء العاملين والنبهاء الصالحين من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس، وتدفعها إلى تحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة، وتدفعها إلى التأسّي بذوي التضحيات والعزمات، لتسمو إلى أعلى الدرجات وأشرف المقاصد.

قال الجنيد رحمه الله: الحكايات جند من جنود الله عز وجل، يقوي بها إيمان المريرين. فقيل له: هل لهذا شاهد؟ قال: قوله تعالى: ﴿لَوْ كُنَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود:120. إن التعرف على أخبار وأحوال الصالحين لهو من خير الوسائل لإشعال العزائم، وإثارة الروح الوثابة، وقدح المواهب، وإذكاء الهمم، وتقويم الأخلاق، والتسامي إلى معالي الأمور.

إننا لا نقصد من وراء ذلك مجرد سرد قصصهم وحكاياتهم دون فقه وعلم نافع يُعرّف الناس بدينهم فيحملهم على العمل، إننا نريد من وراء ذلك إبراز القدوة الصالحة التي يتأسى بها المسلم خلقا ودينا، قولاً وعملاً.

قال ابن الجوزي رحمه الله: سبيل طالب الكمال في طلب العلم، الإطلاع على الكتب التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة، فإنه يرى من علوم القوم وعلو همهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد... فانه الله، وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم، كما قال القائل:

فاتني أن أرى الديار بطرفي..... فلعلي أرى الديار بسمعي

وأخيراً: هذه بعض أسباب الارتقاء بالهمم قد وضعناها بين يديك، فهلا أخذت بها؟ وصبرت عليها؟ حتى تصل إلى أعلى المراتب وتنال الفضل العظيم وتكون من سعداء الدارين.

وإليك أخي في الله طائفة من أقوال الفلاسفة والأدباء تتعلق بالموضوع:

1- إن الفشل لا يحطم إلا النفس الهزيلة.. أما النفس القوية فهي تتخذ من فشلها عدة لنجاحها .. إنها ترأب صدعها بأمل قوي جديد كما ترأب صدفة البحر صدعها بلؤلؤة .. (محمد ثابت)

2. إني احمد الله علي أن نجاحي في جميع مبتكراتي كان نتيجة فشلي!(همفري دافيد)

3. الفشل هو الشيء الوحيد الذي يستطيع الإنسان أن يحققه دون أي مجهود. (حكيم قديم)
4. لا اعرف قواعد النجاح ولكن أهم قاعدة للفشل إرضاء كل الناس.. (أنيس منصور)
5. مرير أن تفشل.. وأكثر منه مرارة أن لا تحاول النجاح.. (جوفروا)
6. إن النجاح لا يتطلب عذرا.. والفشل لا يترك أي مبررات .. (نابليون هيل)
7. إننا نفشل عندما نقرر أننا فشلنا .. إذا ما دمنا نحاول فإن أمامنا فرصة للنجاح.. (حكمة قديمة)
8. قد يفشل الرجل مرارا في عمله ولكنه لا يعد خائبا إلا إذا بدأ يلوم غيره.. (برنارد شو)
9. القلق هو أن تضع شمس اليوم تحت سحاب الغد .. (الهييتو باديسا)
10. ما استولي اليأس علي امة إلا اخملها ولا خالط قلوب قوم إلا أضعفها. لا تتكبر وان كنت غنيا ولا تياس وان خسرت كل شيء .. (الهييتو باديسا)
11. الكسول هو الذي لا يمشي في الشمس حتى لا يجر ظله وراءه.. (أنيس منصور)
12. الكسل هو أن تعتاد الراحة قبل أن يحل بك التعب ... (فيلسوف)
13. دماغ الكسلان معمل الشيطان .. (مثل انجليزي)
14. الكسل مطية الفقر .. (مثل انجليزي)
15. إذا كنت كسولا في سن العشرين فستستجدي في سن الأربعين.. (حكيم قديم)
16. الفراغ من شأن الأموات والاشتغال من شأن الأحياء فإن قدرت أن تكون حيا فافعل.. (فيلسوف)
17. سر النكد أن يتاح لك فراغ من الوقت لتفكر أنت سعيد أم لا ... (برنارد شو)
18. كل خسارة تعوض إلا الوقت .. (محمود كامل فريد)
19. الوقت والمد لا ينتظران أحدا.. (مثل انجليزي)
20. ليس في ساعة الزمن إلا كلمة واحدة هي الآن.. (حكيم)

21. من يضيع ماله يسترده بالاجتهاد ومن يضيع علمه يسترده بالدرس ومن يضيع صحته يستردها بالدواء وأما من يضيع وقته فلا يقدر أن يسترده بواسطة من الوسائط.. (صموئيل سميلز)
22. لا يزال يوجد في الزمن لحظات أثنى من الماضي بأثره.. (دين الفورد)
23. أن نجاح الإنسان يقوم بامتلاكه ناصية الموضوع الذي يبغى النجاح فيه ولا 24- يحصل ذلك إلا بالدرس والانصباب الدائمين .. (دذرائيلي)
25. احرص علي الموت توهب لك الحياة .. (أبو بكر الصديق)
26. خير المواهب العقل .. وشر المصائب الجهل .. (ابن المقفع)
- 27- الشباب شيء مدهش .. ولكن من المؤسف انه يوهب للصغار دون الكبار.. (بنزلك)
28. عزمت علي أن أكون مجتهدا إلي الغاية القصوى لأنني اعلم أن ليس لي موهبة.. (رينولدز)
29. علي قدر أهل العزائم تأتي العزائم... وتأتي علي قدر الكرام المكارم..(المتنبي)
30. إذا وهن عزمك فاصنع من التعب سوطا .. (اندرية ريفوار)
